11 التوجيه والإرشاد: فلسفته وأخلاقياته في المجتمعات الإسلامية

Towrd Islamization Disciplines

كمال إبراهيم مرسي و بشير الرشيدي

- المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة، العدد 6، 1989، ص 133–160 [28 صفحة من القطع المتوسط].
- لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية
- مجال البحث (الكتاب): أسلمة علم النفس – الإرشاد والتوجيه النفسي.

❑ ❑ ❑

هدفت الدراسة – كما يحددها الباحثان – إلى توضيح جذور التوجيه والإرشاد النفسي كمهنة حديثة في المجتمعات الإسلامية وبيان فلسفتها وأخلاقيات ممارستها. حيث يذكران في مقدمتهما للدراسة بأن التوجيه والإرشاد نشأ كمهنة وتخصص في الولايات المتحدة الأميركية في العقد الأول من القرن العشرين، عندما أسس Frank Parsons (الذي يعتبر مؤسس التوجيه والإرشاد في أميركا) أول مكتب للتوجيه المهني في بوستون عام 1908 لتوجيه الشباب الأميركي إلى العمل المناسب. ثم انتشر بعدها وتعددت مجالاته ليشمل ترشيد الحياة الأسرية، وتحسين برامج رعاية المجرمين والجانحين والمعاقين، والأطفال المشردين والأيتام. وتستخدم هذه البرامج في المدارس والمستشفيات والمصانع وفي الجيش وفي غيرها.

* وتبدأ مشكلة البحث عند الباحثين من أن المجتمعات الإسلامية اقتدت بالنموذج الأميركي متبنية فلسفته، في الوقت الذي يعتبر فيه نقل التوجيه والإرشاد من مجتمع إلى مجتمعات أخرى تختلف عنه في عقيدتها ومناهج الحياة فيها ومعايير الصلاح والفساد فيها من الأخطاء المنهجية التي يجب أن يعاد النظر فيها. لأن الإرشاد لا يمارس في معزل عن قيم وعادات وفلسفة الحياة في المجتمع الذي يطبق فيه.

فالإرشاد في أميركا يمارس في ظل فلسفة فصل الدين عن الدولة، أما في المجتمعات الإسلامية فإن الدين والدنيا لله سبحانه وتعالى، والإسلام دين الدولة وعقيدة وشريعة في الحياة وعبادات ومعاملات وإيمان ونظام اجتماعي

واقتصادي وسياسي، مما يجعل الإرشاد في المجتمعات الإسلامية قائماً على أساس ديني دنيوي آناً واحداً، فكل أفعال الإنسان في الدنيا لله حكمه فيها: ثواباً أو عقاباً في الآخرة.

ثم يعرض الباحثان تفصيل الاختلاف العميق بين المجتمعات الأميركية والأوروبية من طرف والمجتمعات الإسلامية من طرف آخر ليوضحا جذرية وعمق التباين بينهما.

* ثم يسأل الباحثان عن النموذج الأكثر ملاءمة للإرشاد في المجتمعات الإسلامية وماهية فلسفته ومعاييره.

ويطرح الباحثان النموذج الإسلامي للإرشاد الذي يعتبره الباحثان فرعاً من فروع الحسبة في الإسلام .فالحسبة شرعاً: أمر بمعروف ظهر تركه، ونهي عن منكر ظهر فعله، وإصلاح بين الناس. ويقصد بها مرضاة الله سبحانه وتعالى ومساعدة الناس على اكتساب ما ينفعهم وينميهم جسمياً ونفسياً واجتماعياً ويحميهم من الفساد والضلال والهلاك.

فالحسبة عملية تعليم وتعلم اجتماعي بين (محتسب) و(محتسب عليه) تقوم أساساً على الرفق واللين والرضا.

* ثم يأتي الباحثان على أساليب الإحتساب: النصح والموعظة الحسنة، الإرشاد الفردي اللين، الإرشاد الفردي المغلظ، الإرشاد الجماعي. ويفصّل الباحثان ويدللان على ذلك ليصلا إلى مقارنة بين الإرشاد بمفهومه النفسي والحسبة بمفهومها الشرعي، ليجدان أن من الضرورة بمكان أن يحدّث التوجيه والإرشاد من خلال إضافة البعد الروحي له، وجعل مساعدة الإنسان لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة والقصد منه وجه الله وطلب مرضاته.

* ثم يفصّل الباحثان في «التوجيه والإرشاد الإسلامي» [بعدما تحدثا عن الإرشاد في المجتمعات الإسلامية في عنوان الدراسة] ليضعا (14) مسلمة لمبادئه:

النصيحة عماد الدين وقوامه وأن الإرشاد من أفضل الأعمال عند الله،

خدمة نفسية يقصد بها وجه الله، واجبة على أولي الأمر، كل إنسان بالغ عاقل مسؤول عن أفعاله، هدف الإرشاد تنمية إرادة الشخص في طلب المنفعة وترك الضرر، المساعدة على تحصيل مصلحة ودفع مفسدة، وجوبه على كل مسلم، فرض عين على كل متخصص في علم النفس الإرشادي، واجب على كل شخص قادر عليه، الإرشاد بحسب ما يحسّنه الشرع، الإنسان حر في إتخاذ قراراته بنفسه، ليس لأي شخص حرية الجهر بالمعاصي، الإلتزام بالمحافظة على خصائص النظام الاجتماعي الإسلامي.

* ثم يتحدث الباحثان عن أخلاقيات المهنة ويضعان شروطاً ثلاثة للممارسة الأخلاقية للتوجيه والإرشاد: التخصص العلمي، الإستعداد الشخصي، الإلتزام بأخلاق المهنة، وفيها سبع قواعد:

> حسن النية، الإستقامة، العلم والخبرة،الرفق واللين، حسن الخلق، الأمانة، في الإرشاد، تحصيل المصالح ودفع المفاسد، [مع تفصيل واستشهاد قرآني ونبوي لكل قاعدة من هذه القواعد السبع]

* وأخيراً يخلص الباحثان إلى أن التوجيه والإرشاد مهنة رفيعة الشأن في الإسلام عظيمة النفع للناس في الدنيا والآخرة، لذا وجب على ولاة الأمور في المجتمعات الإسلامية تعيين المرشدين النفسيين والمهنيين والتربويين لإرشاد الناس إلى ما يفيدهم ولا يضرهم، ويساعدهم على الإلتزام بشرع الله، فيسعدوا في الدنيا والآخرة.

ثم يعطي الباحثان توصيات عدة تخص الأساليب المناسبة لاختيار المرشدين الصالحين والبرامج العلمية المناسبة، وإدخال العلوم الشرعية في برامج إعداد المرشدين ثم مواصلة تدريب المرشدين وتشجيعهم على البحث والدراسة، وتنظيم مهنة الإرشاد في المجتمعات الإسلامية، وأخيراً تكوين فريق من المختصين في كل من علم النفس الإرشادي والشريعة الإسلامية للقيام بدراسات ذات أولوية – كما يراها الباحثان – في مجال الإرشاد النفسي.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

الإرشاد والتوجيه النفسي، الإرشاد والتوجيه الإسلامي، الحسبة كنظام إرشادي، أساليب الإحتساب، معايير وأخلاقيات الإرشاد النفسي

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- في الوقت الذي تمت فيه دراسة الصحة النفسية من وجهة نظر إسلامية في دراسات كثيرة وكتب متعددة، من قبل المهتمين بأسلمة علم النفس أو تأصيله الإسلامي، لم يكن هناك ما يقابلها في مجال الإرشاد والتوجيه النفسي إلا القليل جداً، وهذا البحث من ذلك القليل جداً.
- إن إثارة موضوع الحسبة في الإسلام (التي كانت واجبة على أولياء الأمور وقد قام الخلفاء المسلمين في كل الحقب الإسلامية بتعيين المحتسبين ودفعوا لهم الرواتب) أمر بالغ الأهمية، لأن (الحسبة) في حقيقتها نظام إرشادي تعاوني متكامل يعمل أكثر بكثير مما يهدف إليه الإرشاد النفسي الغربي المعاصر.
- يبدو أن المجال لم يتسع للباحثين أن يدخلا في التراث النفسي الإسلامي ليجدوا كنوزاً وأساليب متقدمة ورائدة في مجال الإرشاد والتوجيه النفسي، سواءً أكان تحت عناوين: الحسبة، النصيحة والتناصح، سياسة تدبير الصبيان، . . . إلخ.
- وبالرغم من الثراء التراثي في هذا المجال، فإن بحوث الإرشاد والتوجيه الإسلامي نادرة جداً (كما أشرت سابقاً) من ناحية، والقليل من هذه البحوث لم تسبر غور التراث النفسي الإسلامي في هذا المجال بعد من ناحية ثانية.

❑ ❑ ❑

obeikandi.com